

مناقشة في سجن الرجال

Author: Hadia Mansour

الكاتب: هاديا منصور

“كانت الأم الحنون لجميع الأسرى. تداوي الجريح، تساعد المريض، تطعم الجائع، تواسي المنهار وترفع من همّة اليائس”. هذه كلمات الأسير المحرّر من سجن المركز الثقافي في معرّة النعمان أحمد التناري (٣٥ عاماً)، واصفاً أم محمد (٥٥ عاماً) التي كانت معتقلة معهم.

أم محمد والدة لخمسة شبان، متوسطة القامة، قوية الشخصية، اجتماعية. تقول أم محمد “وقفت مع الثورة منذ بدايتها لانني يشعرت بأنها ثورة حق ضد الظلم والقهر والفقر والتجبر، لقد ثار هذا الشعب ضد حاكمه الذي ظلمه وأهانته ولم يصغ لصوته ووجهه يوماً”. تشكو أم محمد عدم السماح لولدها البكر محمد ببناء غرفة فوق سطح منزلها، ليتزوج ولا يضطر لدفع إيجار بيت رغم فقره. تتوقف عند حالة جارها أبو مظهر الفقير الذي لم تمنحه السلطات رخصة لبيع بواسطة بسطة صغيرة لينفق منها على عياله، مشيرة إلى كلفة هذه الرخصة العالية. ويؤلمها منع النظام ابنها رائد من الصلاة، هو مجند إلزامي في الجيش، “وكان الصلاة حرام وفق شريعتهم”.

تصمت أم محمد قليلاً ثم تقول “أكثر من ذلك فولدي أحمد (٢٢ عاماً) تم اعتقاله لانه حاول الانشقاق في القطيفة في دمشق في ١٢ حزيران/يونيو ٢٠١٢. كان يجب أن تقوم الثورة منذ زمن بعيد. صحيح أنها تأخرت ولكن المهم أنها قامت فعلاً”. وتضيف أم محمد “لم أقف مكتوفة الأيدي، بدأت بمساعدة الثوار، وخاصة العساكر الذين يريدون الانشقاق، على إعتبار أن منزلي كان قريباً من حاجز الحامدية في معرّة النعمان. كنت أُنشّق مع الثوار والعساكر المنشقين، حيث يقوم هؤلاء العساكر بالإختباء في بيتي فترة من الزمن ثم أهرّبهم مع الثوار إلى بلادهم وإعادتهم إلى مناطقهم. وكان منهم من ينضم الى الجيش الحر وبعضهم الآخر يغادرون إلى أهلهم”.

تؤكد أم محمد أنها كانت تشعر بالسعادة وهي تساعد هؤلاء العساكر على الفرار من أيدي أولئك “الظلاميين”. ذات يوم سمعت أم محمد طرفاً على باب منزلها، وإذ بعناصر من دورية تابعة لجيش النظام يأمرونها بالذهاب معهم. سألتهم: إلى أين؟

أجابوها: لن تتأخري إجراء بسيط وسنعيدك لمنزلك.

قالت لقائد الدورية بين جد ومزاح: امسك على شاربك (أقسم بشرفك) بأنك ستعيديني.

ضحك ومسك على شاربه، في إشارة على القسم، وفعلاً ذهب معهم إلى حاجز الحامدية.

تروي أم محمد كيف بدأ قائد الدورية بالتحقيق معها، وسؤالها عن مساعدتها العساكر على الفرار، وكيف أنكرت ذلك قبل أن يأمر بتوقيفها وإحالتها على السجن. قالت له: لقد وعدتني أن تعيدني إلى بيتي ومسكت على شاربك.

ضحك وقال: وماذا يعني ذلك فأنا سأحلق شاربتي.

دخلت السجن وإذ بشبان كثير في الداخل كانت أوضاعهم سيئة للغاية. وجدتهم جرحى، جيعاً، مرضى ومنهارين. أنا كنت المرأة الوحيدة بينهم.

رحبوا بي وقالوا: لا تقلقي يا خالتي، لا شك بأنهم سيخرجونك قريباً.

طمأنتهم بأنني لست خائفة. وقلت: أنا بين أبنائي وإخواني، وهؤلاء الحمقى لا ذمة لهم ولا ضمير.

تتابع أم محمد قصتها “بدأت رحلتي مع هؤلاء السجناء واستمرت مدة ثلاثة أشهر. قضيتها في سجن المركز الثقافي في معرّة النعمان. كنت أنام على الأرض دون فراش، كثيراً ما كنت أقدم أعطيتي لأسرى قدموا حديثاً وتعرضوا للتعذيب. كنت أشعر بهؤلاء الأسرى وكأنهم أبنائي فعلاً. لم استطع تقديم مساعدة مادية لهم، ولكنني كنت أساعدهم معنويًا، برفع هممهم ونسيان معاناتهم وطمأنتهم إلى أن الحرية باتت قريبة.

وفعلاً بدأ الثوار بمهاجمة معازل الجيش في المعرّة. تساقطت الحواجز العسكرية بأيدي الثوار الواحد تلو الآخر. عندما شعر الأندال بقرب نهايتهم، أطلقوا النار بشكل عشوائي على السجناء، قبل أن يلوذوا بالفرار. مات من مات داخل السجن، وجرّح من جرّح ونجا من نجا. كنت أنا من الناجين بعون الله. أولئك الأبطال الذين أحاطوا بي وكانهم يدافعون عن أرواحهم. نعم لقد استشهد عدد كبير منهم.

تجهش أم محمد بالبكاء: نعم عرفت أنهم سيخرجون بعز وكرامة، وما أعز من الشهيد عند ربه. كان ذلك في ٢٥ آب/أغسطس ٢٠١٣.

محمد (٣٨ عاماً) الإبن الأكبر لأم محمد يقول “لطالما كنت فخورة بأمي فهي امرأة قوية تعرف الحق وتقف معه”.

جارية أم محمد وتدعى أم عمار (٥٧ عاماً) تقول “بارك الله فيها، فهي نعم الجارة والاخت والصديقة”.

تقول مديرة مركز ميلايا غالية الرجال (40 عاماً) “سمعنا عن أم محمد ونشاطاتها، استدليننا عليها وقمنا بتكريمها في المركز مع كثير من الناشطات في يوم المرأة العالمي في ٨ آذار/مارس 2015. لأنها بمسيرتها النضالية فعلاً تستحق التكريم”.

“لم ولن أفكر بالتراجع يوماً، سأبقى مع الثوار والثورة قلباً وقالباً إلى أن يتم النصر أو أهلك دونه” بهذه الكلمات أنهت أم محمد حديثها.

Location: Syria

Topic: Detentions

Conflict

Focus: Speaking Out: Women's Voices from

Syria

Source URL: <https://iwpr.net/ar/global-voices/%D9%85%D9%86%D8%A7%D8%B6%D9%84%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D8%AC%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AC%D8%A7%D9%84>